

مصادر الوضعية الجديدة "جورج بركلي وأرنست ماخ"

د فيصل زيات

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة العربي التبسي - تبسة؛

ff246402@gmail.com

ملخص:

ظهرت فلسفات في فضاء علمي وفلسفي ثري بالمباحث المنطقية واللغوية، اتخذت من ظاهرة العلم الحديث موضوعاً لها، ومن بين هذه الفلسفات نجد الوضعية المنطقية، الممثل الحقيقي لروح الفلسفة العلمية في القرن العشرين، وأصبح معها المنطق الرياضي يحمل جهازها العصبي، فكيف شكل هذا الفضاء أساس نظري تبلورت عنه الوضعية المنطقية الجديدة؟

الكلمات المفتاحية: العلم الحديث، الوضعية المنطقية، المنطق الرياضي، الوضعية الجديدة، التجريبية.

Summary:

appeared in scientific space philosophies and philosophical logical and linguistic 3The MABAHITH, taken from the phenomenon of modern science subjects, and between these philosophies, we find the logical position, the true representative of the spirit of the scientific philosophy in the twentieth century, and with the mathematical logic its nervous system, how the form of this space theoretical basis crystallized in the new logical Positivism

Keywords: modern science, logical Positivism, mathematical logic, the new situation, the pilot phase

مقدمة:

إن العلوم التجريبية الفيزيوكيميائية في القرن العشرين، بوصفها أنجع وأرفع معرفة امتلكها الإنسان، جعل منها قوة توجيهية كبيرة للفكر الفلسفي . فظهرت فلسفات اتخذت من ظاهرة العلم الحديث موضوعاً لها، ومن بين هذه الفلسفات نجد الوضعية المنطقية، إذ تعد هاته الأخيرة الممثل الحقيقي لروح الفلسفة العلمية في القرن العشرين. حيث سلمت هذه الوضعية المنطقية الجديدة بالنزعة الاستقرائية كما صيغت في القرن التاسع عشر بتجريبيتها الحادة، ليمنطقوها بعدما تمهجت. حيث أصبح المنطق الرياضي - باعتباره علم يدرس قوانين التفكير الأساسية بغض النظر عن مادة هذا التفكير أو موضوعه - عصباً للفلسفة، ومحمل جهازها العصبي. لكن هاته الروح التحليلية العلمية والمنطقية التي توجه التجريبية المنطقية، لم يكن لها أن تكون لو لم يكن الفضاء العلمي والفلسفي فضاء ثرياً بالمباحث المنطقية واللغوية. فكيف شكل هذا الفضاء العلمي والفلسفي إطار وأساس نظري تبلورت عنه الوضعية المنطقية الجديدة ؟ أو بصيغة أخرى ما هي أسس ومصادر الوضعية المنطقية، التي مثلت الأسس الإيستمية التي انطلقت منها في تناولها لموضوعاتها ومواقفها من بعض القضايا، ومنها موقفها من العلم بصفة عامة ومن العلوم الإنسانية بصفة خاصة وهل يمكن القول أنها ساهمت بشكل أو بآخر في تطوير هذه العلوم على المستويين المنهجي واللغوي من أجل الوصول إلى نتائج يمكن أن نجد فيها الصبغة العلمية ؟

العرض:

الوضعية المنطقية الجديدة هي الوحيدة التي تمثل الاتجاه التجريبي تمثيلا حقيقيا في القرن العشرين في الفكر الغربي، وقد ظهرت المدرسة عن حلقة بحث كان يقودها 'موريس شليك' (1882-1936م)، وخرجت إلى الضوء في عام 1929م تحت اسم حلقة فينا* والفلاسفة المهمين في هذه المدرسة ألمان كلهم أو يكاد. وفي مقدمتهم "رودلف كرناب" (1891-1978م)، الذي يظهر على هيئة المنظر المنطقي للمدرسة بل ورئيسها بمعنى ما. ويبرز إلى جانبه "هانز ريشنباخ" 1891م والذي ساهم في تأسيس حركة فينا، لكنه ابتعد بعد ذلك عن الطريق الذي حددته الوضعية المنطقية لنفسها، بالإضافة إلى "هانز هان" (1880-1934م) وعدد كبير من المناطق الرياضيين القريبين من المدرسة الوضعية الجديدة.¹

تدعى هذه المدرسة أحيانا بالوضعية الجديدة، وأحيانا أخرى بالتجريبية العلمية، أما الاسم الغالب عليها فهو التجريبية المنطقية.

فهي تجريبية لأنها كباقي النزعات التجريبية، ترى أن التجربة هي المصدر الوحيد لكل ما يمكن أن نحصل عليه من معارف عن الواقع، فليس هناك في نظرها أي أفكار قبلية ولا أية بدهاة عقلية، وبالتالي فإن القضايا التي تحدث عن أشياء لا يمكن التحقق منها بالتجربة هي قضايا فارغة من المعنى.

كذلك هي منطقية لأنها ترى أنه بالإمكان الحصول على معارف يقينية في ميدان العلم، شريطة التقيد الصارم بالمنطق الذي هو علم استدلال صوري بحت، مثله في ذلك مثل الرياضيات. لهذا اتخذت الوضعية المنطقية التحليل المنطقي منهجا، ووظيفته توضيح جميع معارفنا وكل ما نقرره في حياتنا اليومية، وفي العلوم الفيزيائية.

والوضعية المنطقية مذهب علمي على قدر عظيم من قوة الرأي وصلابة الحجة ووضوح الرؤية، فإذا كان ذلك صحيح فما هي الأسس والمبادئ التي تستند إليها ؟

ككل اتجاه أو نظرية سواء كانت علمية أم فكرية قامت الوضعية المنطقية على مجموعة من الدعامات والمبادئ هي:

- 1- الفلسفة تحليلية: وهي تحليل العبارة إلى أخرى أوضح منها وتفتتت المشكلات الفلسفية بغرض معالجتها جزءا جزءا.
- 2- الفلسفة علمية: ترتبط بالتحليل الذي يقتصر على تحليل العبارات العلمية، تحليل منطقيا، يقول كارناب: "إن موضوع أبحاث مدرسة فينا هو العلم سواء باعتباره غائبة واحد أو فروعاً مختلفة ويتعلق الأمر هنا بتحليل المفاهيم والقضايا والبراهين والنظريات التي تلعب فيه دورا ما"²
- 3- القضايا أما تحليلية أو تركيبية: لقد توصلت الوضعية المنطقية إلى أن هناك نوعان من القضايا:

* للمزيد أكثر من المعلومات عن نشأة حلقة فينا: أنظر كتاب فلسفة العلم في القرن العشرين، مكي الخولي الطريف. ص 282-283.

¹ - إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قري، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1992. ص 81-82-83.

² - د. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001. ص 28.

أولاً - القضايا التحليلية: وهي قضايا العلوم الصورية (المنطق والرياضيات) حيث تنحصر قيمها في ذاتها، فهي تحصيل حاصل، نصل إليها استنباطاً ونعرف صدقها أو كذبها فقط بتحليلها تحليلًا منطقيًا لغويًا.

ثانياً - القضايا التركيبية: وهي قضايا العلوم (التجريبية) الطبيعية، وتسمى العلوم التجريبية التي تنقل خبراً عن العالم الواقع من حولنا، فهي إذن إخبارية ذات محتوى معرفي نصل إليها باستقراء خبرة الحواس.³

4- الميتافيزيقا لغوا: القضايا الميتافيزيقية في نظر الوضعية المنطقية هي قضايا غير واضحة وبالتالي غير مفهومة وبالتالي فهي مجرد لغو، ولا ترقى إلى أي من المستويين الصدق أو الكذب، وفي هذا الصدد يميز كارناب بين وظيفتين متميزتين للغة: **الوظيفة التعبيرية** ويطلق على الثانية اسم **الوظيفة الدلالية أو المعرفية للغة**، حيث يذهب إلى أن الميتافيزيقا تنتمي إلى الوظيفة الأولى (الوظيفة التعبيرية) أي أنها تعكس حالة أو انطباعات مؤقتة لا غير، معنى هذا أنها لا تقرر شيء.⁴

5- مبدأ التحقيق: عرف هذا المبدأ في دوائر الفكر المنطقي للمدرسة الوضعية المنطقية كتجسيد لدعواهم الفلسفية التي تتبلور نحائياً في هذا المبدأ وهو الذي يميز المعرفة العلمية ويمثل الفاصل الحاسم بين العلم واللاعلم وبالتالي بين المعنى واللامعنى. ليكون بذلك الأساس الذي تقوم عليه فلسفة الوضعية المنطقية وتقوم من أجله. وخلاصة معيار التحقق أن كل قضية تركيبية لا بد أن تكون تجريبية وبالتالي يمكن التحقق منها بواسطة الخبرة الحسية.* ويتربط على هذا أن كل قضية تركيبية لا يمكن تحديد صدقها أو كذبها من خلال ملاحظات حسية هي جملة بغير معنى.⁵

على الرغم من أن أوغست كونت هو مؤسس الفلسفة الوضعية، فإن الإتجاهات الوضعية الجديدة بمختلف نزعاتها لا ترتبط بأوغست كونت مباشرة، بل بظاهراتية ماخ التي بدورها ترتبط بلا مادية باركلي.

أراد "جورج بركلي" (1685-1753م)** أن يبرهن على عدم وجود المادة كشيء مستقل عن الفكر الذي يدركها، حيث نجده يقول "إنني لست أقل منك إيماناً بوجود ما تراه عيناى وتحسه يداى، إنما أنكر أن يكون ثمة شيء غير ما أرى وما أحس، وأن هذا الجوهر إن هو إلا فكرة مجردة ليس لها حقيقة واقعية"⁶ من هنا قال أن "الوجود هو ما يدرك" ولم يكن يهدف من وراء ذلك إلى هدم الميتافيزيقا،

³ - معنى الطريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، 2000، (د.ط.)، ص 286-287.

⁴ - السيد تقيادي، معيار الصدق والمعنى في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، (د.ط.)، 1991، ص 30.

⁵ - معنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص 289-290.

* للوضعيين المناطق مثال يقول أن القضية التي تقول أن الوجه الآخر من القمر مليء بالأودية والأفكار، قضية فارغة من المعنى. وذلك أنه لا يمكن التحقق منها بالخبرة الحسية.
** جورج باركلي (1685-1753م). فيلسوف ولد في أيرلندا في مقاطعة كيلكيني. أعلن باركلي أن الأشياء المادية، مثل الطاولة، هي نفسها الأفكار أو الأحاسيس التي نشعر بها تجاه تلك الأشياء، ومن هذا المنظور لا تعد التفاحة شيئاً سوى لوناً، وشكلها، وملمسها، ووزنها، وطعمها، وخواصها الأخرى على النحو الذي ندركه بأحاسيسنا. كما قال إن الخصائص أو الأفكار التي نشعر بها لا توجد إلا في مخيلتنا، وهي تتغير بتغير الشخص الذي يتلقاها. فمثلاً المياه الدافئة نفسها تبدو ساخنة لليد الباردة وتبدو باردة لليد الساخنة. وهكذا بدا لباركلي أن الخصائص التي نشعر بها ما هي إلا أفكار تعتمد على العقل الذي يتلقاها، وليس لها وجود مستقل

⁶ - زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط.)، 1936، ص 223.

بل كان يهدف إلى إثبات أن المعرفة العلمية وموضوعها الظواهر الحسية ليست سوى وسيلة تمكننا من الصعود إلى نوع من المعرفة أسمى هي المعرفة الروحية.

إن المحاولات التي تريد إرجاع الظواهر كلها إلى المادة والحركة (النزعة الميكانيكية) هي في نظر باركلي محاولات غير مشروعة، لأن المادة والحركة لا تتمتع بأي وجود مستقل عن الذات التي تدركها، فهي ترجع إلى مجرد إحساسات، وبعبارة أخرى إن الواقع الطبيعي هو نفسه الواقع الحسي.⁷

يقول باركلي "ألم نجربنا لوك بأن معرفتنا كلها مستمدة من الحواس... والآراء مستمدة من هذه الحواس، إن الشيء مجرد حزمة من الإحساسات..."⁸

هذه الأطروحة لباركلي تبناها العالم الفيزيائي "أرنست ماخ" (1838-1916م)* - وهي التي تحصر المعرفة في الظواهر الحسية كما سبق ذكره - حيث حاول ماخ أن يعطيها طابعا علميا. فهو يرى أن الطبيعة بالنسبة للإنسان هي جملة العناصر التي تقدمها له حواسه. ومن ثم فإن المصدر الوحيد للمعرفة هو الإحساس، والإحساسات في نظره ليست رموزا للأشياء كما يتوهم الناس عادة، بل أن الشيء هو بالعكس من ذلك مجرد رمز ذهني لمركب من الإحساسات يتمتع باستقرار نسبي، ذلك لأنه ليس في الطبيعة أي شيء لا يتغير.⁹

يقرر ماخ بأن العناصر الحقيقية للعالم ليست الأشياء، بل هي الألوان والأصوات والضغطات للحمية والأمكنة والأزمنة، وبكلمة واحدة ما نسميه بالإحساسات. لذلك كان من الواجب حصر مجال المعرفة العلمية والبحوث العلمية في معالجة ما يقبل الملاحظة، والامتناع عن وضع فرضيات تطمح إلى تفسير ما وراء الظواهر دون تخيل أي شيء آخر وراء هذه الظواهر القابلة للملاحظة. وبما أن عملية الملاحظة هذه تترد في نهاية التحليل إلى الإحساسات، فإن هذه الإحساسات هي في نهاية الأمر الواقع الوحيد الذي بإمكاننا التأكد من وجوده.

على أساس هذه النزعة الظاهراتية المعرفة في الحسية (ظاهرة ماخ وباركلي) قامت الوضعية الجديدة، أو التجريبية المنطقية.¹⁰

⁷ - د. محمد عابد الجابري، مرجع سابق ص 291.

⁸ - ويل ديورانت قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 5، 1985. ص 320.

* إرنست ماخ (1838-1916م). فيزيائي وعالم نفسي نمساوي. ولد في توراسين بمورافيا في جمهورية تشيكيا (الآن) وتخرج في جامعة فيينا بالنمسا درس حركة الأجسام بسرعتها القصوى خلال الغازات، وطور طريقة دقيقة لقياس سرعتها معبراً عنها بسرعة الصوت. اهتم ماخ بالتطور التاريخي للأفكار التي بُني عليها علم الميكانيكا، وقال إن كل المعارف البشرية جاءت عن طريق الحواس الخمس، وأدرك أيضاً أن القانون العلمي له ارتباط وثيق بالمعلومات الملاحظة.

⁹ - د. محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 292.

¹⁰ - د. محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 27.

لقد كان لهذا الاتجاه التجريبي الجديد الذي ظهر إلى الوجود آراء خاصة فيما يخص القضايا العلمية وفروع المعرفة المختلفة. وحتى نعرف موقف الوضعية المنطقية من العلوم الإنسانية يمكننا أن نطرح التساؤل التالي: هل هناك مجال يمكن أن نفرق فيه بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية في نظر الوضعية المنطقية؟ وما موقفها من الفلسفة؟

كإجابة على هذا السؤال ترى الوضعية المنطقية أنه لا فرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، بل زادت على ذلك بأن اعتبرت أن نفس المنهج الذي نطبقه في العلوم الطبيعية يمكننا تطبيقه على العلوم الإنسانية، إذ نجد "هانز ريشنباخ" يدعو إلى هذا (تطبيق منهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية)، وهذا راجع إلى أن الوضعية المنطقية أخذت على عاتقها مسؤولية تطوير العلوم، من خلال نقد اللغة. وفي هذا يقول هانز ريشنباخ: "إن الزعم بأن هناك هوة لا تعبر بين العلوم الاجتماعية والطبيعية يبدو أشبه بمحاولة ترك مكان خاص في فلسفة العلوم الاجتماعية لأولئك الفلاسفة الذين يخشون تطبيق الأسلوب المنطقي والرياضي الذي لم يعد من الممكن بناء نظرية في المعرفة بدونه"¹¹

إذا كانت الوضعية المنطقية لا تمارس الفلسفة كبحث في الوجود أو الواقع وترفض أيضا الأسئلة التي تدور حول الأخلاق والجمال والميتافيزيقا، فما الذي أبقى عليه في الفلسفة حتى تسمي حركتها حركة فلسفية؟

إن الفلسفة عند جماعة فينا تمارس باعتبارها علم المنطق التطبيقي، أو ما يمكن أن نسميه بمنطق العلوم. وهو عبارة عن تحليل الحدود والقضايا والنظريات الموجودة في مختلف العلوم تحليلاً منطقياً. وفي هذا الصدد يقول هانز ريشنباخ: "لم تعد الفلسفة قصة أناس حاولوا عبثاً أن يقولوا مالا يمكن أن يقال بصورة مجازية أو تركيب لفظي لها صورة منطقية وهمية، بل إن الفلسفة هي التحليل المنطقي لجميع أشكال الفكر البشري أو من الممكن التعبير عما ترد أن تقوله بعبارات مفهومة"¹²

أما الفلسفة في عرف "فيتينجنشتين" إما هي منطقية وإما أنها لاشيء وقول فارغ من المعنى حيث يقول: "تهدف الفلسفة إلى التوضيح المنطقي للأفكار، وليست الفلسفة علماً وإنما هي نشاط، حصيلة الفلسفة ليست عبارات فلسفية وإنما توضيح للعبارات. يجب أن تعمل الفلسفة على توضيح الأفكار وتحديداتها تحديداً قاطعاً وإلا لظلت تلك الأفكار مبهمّة وغامضة."¹³ مبرهنة بذلك على أن استحالة حل المشكلات العلمية لا تعود البتة إلى محدودية العلم، وإنما يعود إلى خطأ في الطرح، وأن الأمر لا يتطلب تحويل مثل هذه المشكلات على مجالات فكرية أخرى كالدين والميتافيزيقا بل يتطلب الأمر إقصائها وذلك لسبب أساسي هو كونها ليست مشاكل حقيقية.

وإذا كان هذا موقفها من الفلسفة فما موقفها من العلم؟

¹¹ - هانز ريشنباخ، نشأة فلسفة العلم، تر: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2004. ص278.

¹² - هانز ريشنباخ، مرجع سابق، ص277.

¹³ - لودفيج فيتينجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، تر: د.عزمي إسلام، مراجعة وتقديم د.زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1968. ص92.

إن المعرفة العلمية حتى وإن تم إغنائها وإثرائها بنجاحات علمية جديدة فإنها تجد نفسها في الأخير في مواجهة مشكلات لا تستطيع حلها. والعلم يحمل في طياته مشاكل ميتافيزيقية ومن هنا ضرورة عزلها أو طردها، وذلك من خلال توضيح طبيعتها الخاطئة. كل هذا كان من أجل تأسيس وبناء علوم حقيقية تستحق هذا الاسم.¹⁴ وقد سعت الوضعية المنطقية إلى توحيد لغة العلم والتي بها يمكن أن يكون العلم واحد كذلك. ويقول كارناب "إذا كنا سنتخذ لغة الفيزياء كلغة للعلم، وهو بسبب خاصيتها كلغة كلية فإن جميع العلوم ستتحول إلى الفيزياء، وسوف تستبعد الميتافيزيقا على أنها لغو. وتصبح العلوم المختلفة أجزاء من العلم الموحد"¹⁵

كما يمكننا أن نطرح تساؤل آخر هو: كيف ساهمت الوضعية المنطقية في تطوير العلوم الإنسانية؟

ما نعرفه عن العلوم الإنسانية أنها متعددة الفروع والميادين وبالتالي المناهج، وهي العلوم التي من الصعوبة بمكان أن تتحقق فيها الشروط العلمية، لكن هذا العائق وغيره سرعان ما يتلاشى مع الوضعية المنطقية. إذ نجد كارناب يعتقد أن العلوم الإنسانية يمكنها أن تصل إلى نفس الدقة واليقين الذي تمتاز به العلوم الفيزيائية. معنى هذا أنه يوجد توافق بين جمع العلوم، ويحدث هذا من خلال اللغة، حيث أن سعي الوضعية المنطقية لتوحيد لغة العلم وجعل لغة الفيزيائية لغة عمومية له. نستنتج أن العلم سيصبح بنية واحدة. وتبعاً لهذا لا نجد هوة بين العلوم الطبيعية أو الفيزياء وبين العلوم السلوكية. وهو ما ذهب إليه الدكتور "يحيى هويدي" بقوله: "من الطبيعي أن تتفق كل العلوم إذا وجهنا أنظارنا فقط إلى هذه اللغة الصورية ففي هذه اللغة تلتقي علوم الروح بالعلوم الفيزيائية وعلوم المادة العضوية بعلوم المادة غير العضوية"¹⁶

وقد رأينا سابقاً معيار القابلية للاختبار والتكذيب التجريبي، فالعلوم الإنسانية وفق هذا المبدأ تصبح وبمنتهى الدقة المستطاعة محكمة. ويعتبر هذا المبدأ حاسماً لتحديد ما هو علمي دون ما هو لا علمي. وكلما إقتربت منه العلوم الإنسانية أكثر كلما كانت أقرب إلى العلوم الفيزيائية. ويعني هذا إمكانية إنجاز المشاريع العلمية على نفس الأسس والحدود المنطقية للظواهر الطبيعية والإنسانية على السواء.

إضافة إلى ما سبق سنضيف تساؤل آخر هو كالتالي: هل يوجد جانب منهجي يمكن أن نلمس فيه ما كانت تدعوا إليه الوضعية المنطقية ؟

يمكننا أن نلمس نوع من الظهور الفعلي لفكرة تطبيق المنهج الخاص بالعلوم الطبيعية على العلوم الإنساني، خاصة إذا تكلمنا عن بنيوية "ليفى ستروس" والذي حاول أن يطبق هذه الفكرة بغرض الوصول إلى الدقة واليقين، حيث نجد "سالم يفوت" يقول عن ليفى ستروس: "ستروس نفسه الذي نظّر ممارسته العلمية تنظيراً يستلهم الرؤية الوضعية خصوصاً رؤية شيليك وجماعة فينا عامة مما يجعله يعطي لنفسه بصورة أو بأخرى توجيهها وضعياً"¹⁷

¹⁴ - د. زواوي بغورة، وآخرون، مدخل جديد إلى فلسفة العلوم (دراسة تاريخية نقدية مع نصوص مترجمة)، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، (د.ط)، (د.ت). ص 313-317.

¹⁵ - طريف الخولي، معنى، مشكلة العلوم الإنسانية (تقنياتها وإمكانية حلها)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1990. ص 210.

¹⁶ - يحيى هويدي، الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1971-1972. ص 170-171.

¹⁷ - سالم يفوت، فلسفة العلم بالمعاصرة ومفهومها للواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت). ص 271.

كما يمكن أن نلمس ما كانت تدعوا إليه الوضعية المنطقية عند المدرسة السلوكية في مجال علم النفس، والتي حاولت أن تدرس الحياة النفسية من خلال الصور الفيزيولوجية؛ أي الإعتماد على الملاحظة والتي من خلالها يمكننا أن نقيس الحالة النفسية. من هذا كانت الملاحظة عند أصحاب المدرسة السلوكية شرط ضروري لأن أي عملية سيكولوجية لابد أن تخضع لها. ونجد سالم يفوت مرة أخرى يقول: "نجد إيماننا راسخا بأن سبيل تقدم علم النفس هو تشبهه بالفيزياء أي إهتمامه بدراسة الجانب الكمي من الظواهر النفسية ووضع قوانين لها من الضبط واليقين ما لقوانين العلوم الطبيعية"¹⁸

يصبح علم النفس من خلال تطبيق منهج العلوم الفيزيائية عليه علم السلوكيات وتصبح عباراته ذات معنى أي علمية وهذا كله بفضل اللغة الفيزيائية

¹⁸ - سالم يفوت، مرجع سابق، ص218.

خاتمة:

حتى لا يعتقد المتتبع لهذا المقال أن الوضعية المنطقية منهج متكامل لا نقائص فيه ولم يتعرض لأي انتقادات ارتأينا أن نبين أهم النقاط التي انتقدت فيها الوضعية المنطقية ونذكر مايلي:

1- القضايا التحليلية: انتقد الدكتور يحيى هويدي هذا المبدأ الذي يعد أحد الركائز الأساسية للوضعية المنطقية بقوله: "إن حديثهم عن قضايا المنطق والرياضيات (القضايا التحليلية كما يسمونها) باعتبار أنها تحصيل حاصل وباعتبار أنها لا تنبؤنا بشيء مما يجري في الواقع جعلنا نشعر بأنها قد أصبحت علمين للتسلية وضياح الوقت مع أن هذا ليس ولم يكن يوما الهدف من وراء هذين العلمين " واستعمل المثال التالي للتحجيج على موقفه: أن (أ) أكبر من (ب) و (ب) أكبر من (ج) النتيجة هي أن (أ) أكبر من (ج). هذه القضية رياضية نخبونا عن واقع ويمكن تجسيدها على أرض الواقع. فيكون (أ) يمثل كرة بيلارد و(ب) كرة تنس و (ج) كرة تنس الطاولة. ويضيف شريف زيتوني: "تبقى دعوهم المضيق للحياة المعرفية والمقصية للتفلسف مجال لا يخلو من الثغرات المنطقية"¹⁹

2- الفلسفة منطق للعلوم: إذا كانت الفلسفة منطقا للعلم فهذا يعني نهايتها، هذا ما يطالب به التجريبيون المنطقيون حينما ينقدون لغة الفلسفة. غير أننا لا نجد برهنة منطقية واضحة ومقنعة تبين كيف تم تحويل الفلسفة إلى منطق إلى العلوم... كما أن الرأي القائل بزيف المفاهيم الفلسفية لم يكن نابع من تحليل داخلي لقضايا الفلسفة للكشف عن تحافت بنيتها وهذا ما يؤدي بنا إلى القول أن دعوهم جاءت على سبيل الرفض وليس التأسيس، وهو رأي شريف زيتوني في مقالة في مجلة الأيس.

3- رفضهم اشتغال الفلاسفة والعلماء بمسائل المادة والوجود والطبيعة: انتقد رأيهم الدكتور يحيى هويدي بعد أن قالوا لكل من الفلاسفة والعلماء أن يكفوا أيديهم عن البحث عن مسائل المادة والوجود والطبيعة "أي صنف من البشر وقع عليه اختياركم ليقوم بهذه المعرفة العسيرة علينا أن نسألهم أيضا باسم من تتكلمون إذن إذا لم يكن حديثكم باسم الفلاسفة ولا باسم العلماء؟"²⁰

4- المعرفة تجريبية: يقول الدكتور إبراهيم مصطفى إبراهيم: "إن الوضعيين المناطق قد حجروا على التفكير الفلسفي لأنهم يحصرونها داخل سجن التجربة العلمية وكأن ليس ثمة معرفة بشرية أخرى يمكن أن تكون جديرة بهذا الإسم فيما وراء حدود المعرفة الوضعية، وبهذا يضيق منظور التصورات البشرية في حدود التصورات التجريبية في حين أنها أوسع من ذلك بكثير"²¹

ما نخلص إليه في الأخير هو أن الوضعية المنطقية في طابعها العلمي ومحاولتها إقامة علوم إنسانية وفق اللغة الفيزيائية. نجد في هذا تجسيدا واضحا لفكرة هيدغر التي من خلالها قسم مرور الفلسفة بمراحل عديدة بداية من مغلها اليوناني والذي كانت تكتسي فيه

¹⁹ - مجلة الأيس السداسي الأول 2011، العدد الرابع، فنجنشتين ومشكلة الفلسفة ص40.

²⁰ - د. يحيى هويدي، مرجع سابق، ص165-166.

²¹ - د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2000، ص69.

الفلسفة طابعا أسطوري، لتتخذ في العصور الوسطى الطابع اللاهوتي، وفي العصر الحديث اتخذت ما يسمى بالطابع العلمي وهو العصر الذي برزت فيه الوضعية المنطقية. أما العصر المعاصر فبهيدغر يرى أن الفلسفة اكتسبت فيه طابعا إنسانيا. وهو الشيء الذي نلمسه من خلال الأهداف التي سطرها الوضعية المنطقية، وهذا بحد ذاته ما يحيلنا إلى عدة تساؤلات من بينها هل فعلا ما كانت تدعوا إليه الوضعية المنطقية يمكن أن يقوم على أرض الواقع ؟ وهل نستطيع أن نوحّد العلم كما ادعت الوضعية المنطقية متناسين بذلك الفروق الجوهرية التي يمتاز بها كل علم من العلوم ؟

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

- 1- إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1992.
- 2- ريشنباخ هانز، نشأة فلسفة العلم، تر: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2004.
- 3- فيتينجنشتين لودفيج، رسالة منطقية فلسفية، تر: د.عزمي إسلام، مراجعة وتقديم د.زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة مصر، (د.ط)، 1968.
- 4- ويل ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط5، 1985.

II- المراجع:

- 1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2000.
- 2- تفادي السيد ، معيار الصدق والمعنى في العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، (د.ط)، 1991.
- 3 - طريف الخولي يميني، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، 2000، (د.ط).
- 4- طريف الخولي يميني ، مشكلة العلوم الإنسانية (تقنيها وإمكانية حلها)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1990.
- 5- عابد الجابري محمد ، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001.
- 6- محمود زكي نجيب ، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1936.
- 7- هويدي يحيى ، الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1971-1972.
- 8- يفوت سالم، فلسفة العلم بالمعاصرة ومفهومها للواقع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

III- المجلات:

- مجلة الأيس السداسي الأول 2011، العدد الرابع، فيتينجنشتين ومشكلة الفلسفة.